وكأنه خطر يهدد الحالة المعنوية (التوتر) المطلوبة لتحقيق التماسك الداخلي. ونقل الكاتب الاسرائيلي توم سيغف ان بن ـ غوريون اتخذ موقفاً متعنّتاً في مفاوضات لوزان العام ١٩٤٩، ورفض كل الوساطات الدولية، بما فيها وساطة الرئيس الاميركي، هاري ترومان، لتحقيق سلام دائم في المنطقة. وكان تفسير ذلك لدى العديد من الأوساط الاسرائيلية: «ان تخلي بن ـ غوريون عن السلام كان من أجل المحافظة على التوتر المطلوب لتوحيد المجتمع الاسرائيلي، وبلورته، ومن أجل استمرار سلطة مباي»(١٨).

لقد أصبح السياسيون الاسرائيليون يدركون، بحكم التجربة، ان الاحساس بالخطر الخارجي عمل في الماضي، كما سيعمل في المستقبل، على تحييد مشكلات اسرائيل الاجتماعية، أو تهميش وزنها في الحياة اليومية؛ كما عمل على صهر اليهود في بوتقة الدولة. وفي مقابلة أجرتها مجلة «دير شبيغل» الألمانية مع اسحق رابين، في منتصف السبعينات، عندما كان رئيساً للحكومة، تطرق الى الوظيفة الاجتماعية «الحيوية» للتوتر في اسرائيل:

«المجلة: الى متى تستطيع اسرائيل البقاء دون سلام ؟ كم من المرّات يستطيع داوود ان ينتصر؟ مرة ؟ مرتين ؟ دائماً ؟

«رابين: ما دام ذلك ضرورياً.

«المجلة: ولكن ستصبح اسرائيل، عند ذلك، اسبارطة حديثة، لا دولة ديموقراطية اشتراكية، كما كان يحلم مؤسسوها.

«رابين: بالطبع، ان عبء نفقات الدفاع الباهظة لا يسمح لنا بتحقيق كل ما نرغب فيه؛ ولكن ثمة من يقول: ان التهديد الخارجي قد عزز التماسك الداخلي؛ ولولا الشعور بذلك لفشلت عملية الدمج لفئات الشعب العديدة في هذا البلد.

«المجلة: أليس من الأفضل، بناء على هذا القول، ان تسوء الأحوال ؟

«رابين: لم أقل ذلك»(١٩).

غير ان ما لم يقله رابين كان قاله، بصراحة، الحاخام اسحق ماير ليفين العام ١٩٦٦، عندما اعلن: «لو لم تكن هناك مشكلة أمن تواجه اسرائيل، لما كان هناك أي شيء يجمع بين شعبها...»(٢٠). وعرض ايلي الياشار، زعيم الطائفة السفارادية في اسرائيل، الوجه الآخر من الحقيقة السابقة، بصورة أوضح، عندما قال: «اذا ما حل السلام يوماً في الشرق الأوسط، فستقع لدينا حرب أهلية...»(٢١).

وترى القوى الدينية المتطرفة ان السلام مع العرب لا ينطوي على مخاطر داخلية على المجتمع فحسب، بل انه يهدد التوتر الفكري عند اليهود، انطلاقاً من الأبعاد الدينية التي يضفيها المتدينون اليهود على الصراع العربي ـ الاسرائيلي. فجماعة مثل حركة غوش ايمونيم، على الرغم من انها لا تنتظم كحزب سياسي في اسرائيل، الّا انها تحدد، على أساس ديني، موقفها السلبي من السلام، بدعوى ان «هناك خشية من انه في حالة عدم وجود التوتر الأمني، سوف يتدهور التوتر الفكري، الذي ما زال موجوداً هنا، وهناك، ويعشش في القلوب؛ والخطر من التفتت الداخلي سوف يهدد المجتمع الاسرائيلي»(٢٢). ومؤخراً، بات معظم القوى الدينية في اسرائيل يتبنّى برامج سياسية متطرفة، ويعتبر البعض الانسحاب من أي جزء من الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧، من أجل تحقيق السلام مع العرب، خروجاً على تعاليم الدين اليهودي. واشار الباحث اليهودي يشعياهو ليفمان الى اتساع ظاهرة الحركات الدينية اللابرلمانية في اسرائيل، وأوضح: «ان الجهد الأساسي للفاشية الدينية موجّه